أسئلة حول البسملة وأجوبتها

آية الله الشيخ جعفر السبحاني

* * *

بما أنَّ البسملة لها فضل عظيم، وهي زينة كلِّ ما نقوم به، عبادةً كان أو معاملةً، فعلاً كان أو قولاً، وبما أنَّ «كُلُّ أَمْرٍ ذِى بَالٍ لَمْ يُبْتَدَأْ بِبِسْمِ اللهِ فَهُوَ أَبْتَرٌ».[١] لهذا ينبغي أن نفتتح جميع ذلك بتسمية الله تعالى.. وفريضة

---

١. وسائل الشيعة ٧ : الباب ٧١ من أبواب الذكر، ح٤؛ كنز العمال ١ : ٥٥٥ برقم٢٤٩١.

الحج وكذا العمرة مناسك عباديّة، تتضمن أقوالاً وأفعالاً، تُؤدى من قبل المسلمين في مواقع مباركة مختارة يتنقلون بينها؛ فهم أولى بالإكثار من قراءة البسملة؛ لكي يحظوا بذلك الفضل وبالتزين المذكور؛ إضافةً إلى ما لها من عطاء واسع وبركة دائمة.. فلهذا ولغيره غدت البسملة تحتلّ مفاصل حياتنا، فنطمع في قراءتها، وبالذات في ابتداء كلّ فعل أو كلام، عملاً بالسنّة. والاستزادة مما يترتب عليها من أجرٍ جزيلٍ وثوابٍ وفيرٍ، وصارت موضعَ اهتمامٍ دائمٍ، وموردَ أسئلةٍ عديدة، ها نحن نقف لنجيب عنها، بعد أن قدمنا في العدد السابق دراسة حول معنى الإله في الذكر الحكيم، علماً بأنّ البسملة تعدُّ جزءاً من كلّ سورة، من غير فرق بين سورة الحمد وغيرها، عند الإمامية. نعم أكثر الجمهور يعتبرونها جزءاً من سورة الحمد دون سائر السور؛ وللبحث فيه موضع آخر.

* * *

١. ما معنى الباء في قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ ؟

الباء في قوله ﴿**بِسْمِ اللَّهِ**﴾ للاستعانة، مثل قولك: كتبت بالقلم. وكأنّ المؤمن يستعين باسم الله الذي هو جامع للأسماء. ويشهد على ذلك قوله سبحانه في ثنايا سورة الحمد: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾، ويؤيده أيضاً قول النبي صلى الله عليه وآله: « **كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَمْ يُبْتَدَأْ بِبِسْمِ اللَّهِ فَهُوَ أَبْتَرٌ** ».

وجه الدلالة: أنّ المؤمن الواعي الذي ينظر بعين المعرفة، يعلم أنّ لكلّ شيء أسباباً وعللاً، فهو يهيّئها وعندما يبدأ بالعمل يستفتحه بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، أي أستعين باسمك في إنجاز عملي باستعمال هذه المقدمات والأسباب للحصول على مرادي.

٢. ما هو سبب حذف الهمزة عند الكتابة؟

قد دخل حرف الجرّ على الإسم، والهمزة فيه همزة وصل تسقط عند التلفظ، ولكنّها تكتب شأن كلّ همزة وصل؛ فعلى ذلك يجب أن تكتب بالنحو التالي: ﴿باسم الله الرحمن الرحيم﴾، كما هو الحال في قوله تعالى: ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾،[١] وقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.[٢]

ولذلك نرى أنّ الأدباء يكتبون البسملة عند تجرّدها عن الرحمن الرحيم بالنحو التالي: «باسمه تعالى»، وأما غيرهم فيكتبون «بسمه تعالى»، فالتلفّظ عند الفريقين واحد، والإملاء مختلف.

وقد اعتذر عن حذف الألف عند الكتابة في التسمية بوجهين:

الأول: أنّ كثرة استعمال تلك الآية المباركة فوق كلّ رسالة، وبداية كلّ عمل، صار سبباً لحذف الهمزة كتابةً مثل حذفها تلفّظاً، ولذلك نرى

---

١. العلق:١.

٢. الواقعة: ٧٤.

أنّ سليمان عليه السلام كتب إلى بلقيس ملكة سبأ بالنحو التالي: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾،[١]

الثاني: أنّه لو كان متعلّق الجار مذكوراً تكتب الهمزة، كما في قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.[٢]

وقوله: ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾،[٣] حيث إنّ الجار متعلّق بـ «سبّح» أو «إقرأ».

وأمّا إذا كان متعلّق الجار محذوفاً، كما في المقام، فتحذف الهمزة تلفظاً وكتابةً، والمفروض أنّ الجار في الآية متعلّق بالمحذوف، نحو: أستعين، وأشباهه.

---

١. النمل: ٣٠.

٢. الواقعة: ٩٦.

٣. العلق:١.

٣. كيف نستعين بالاسم لا بالذات؟

هنا سؤال وهو: كيف نستعين باسم الله، مع أنّ المستعان هو الله لا اسمه، فيجب على كلّ مسلم أن يلتجئ إليه لا إلى اسمه، كما يدلّ عليه قوله سبحانه: ﴿وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنّى فَإِنّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾،[١] فالمسؤول هو ذاته لا اسمه؟

ربّما يقال في الجواب عن ذلك: إنّ لفظة اسم زائدة، فكأنّ القارئ يقول: بالله أستعين، مكان: باسم الله أستعين.

يلاحظ عليه: أنّ القول باشتمال القرآن على الحروف الزائدة أمر غير صحيح حتى في قوله سبحانه: ﴿لاَ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾،[٢] كما حقق في محله،[٣] فكيف القول باشتماله على كلمة زائدة وهي: «اسم»؟!

ويمكن أن يجاب بأنّ الاسم على قسمين:

١ـ علَم للشخص إذا أطلق ينتقل الذهن إلى المسمّى الخارجي دون أن يدل على أمر زائد. مثلاً إذا سمّي رجل باسم حسن أو جميل، فإذا أطلق يتبادر منه نفس المسمّى، سواءٌ أكان حسناً، جميلاً أم لا. والغاية كون الاسم سبباً للانتقال إلى الفرد الخارجي.

---

١. البقرة: ١٨٦.

٢. البلد:١.

٣. راجع: آلاء الرحمن في تفسيرالقرآن، للعلامةالبلاغي رحمه الله ١ : ٣٨ـ٣٩، طبعة صيدا.

٢ـ علَم للشخص، وفي الوقت نفسه بمنزلة الوصف الذي يحكي عن صفات الجمال والجلال؛ لأنه لم يوضع للذات فقط بل للذات الجامعة للصفات العليا، فإذا قلنا (باسم الله) فكأنّا قلنا: باسم العالِم القادر السميع البصير، إلى غير ذلك من الصفات العالية.

فهذا النوع من الاسم الذي هو الوصف الحاكي عن صفات الجلال والجمال، قابل للاستعانة به؛ لأنّ الاستعانة به كأنّها استعانة بالذات، فكأنّ الإنسان يستعين بالموصوف بصفات الجلال والجمال.

وبالجملة الاسم بالمعنى الأول علَم محض لادور له سوى إحضار المسمّى في ذهن المخاطب.

وبالمعنى الثاني اسم، لكنه في الوقت نفسه لايفتقد معنى الوصفية، ولذلك يحكي عن الصفات الجمالية والجلالية المندرجة تحت ذلك الوصف. فالاستعانة بهذا الاسم استعانة بذاته تبارك وتعالى.

نعم، السؤال والجواب متعلقان بما إذا قلنا بأنّ الباء للاستعانة، والمتعلق هو «أستعين»، دون ما إذا كان الجار متعلقاً بـ (أبتدئ)، وتقدير الكلام: أبتدئ قرائتي بتسمية الله، أو أقرأ مبتدئاً بتسمية الله.

قال الطبرسي: هذا القول أقرب للصواب، لأنا أمرنا أن نفتتح أمورنا بتسمية الله، كما أمرنا بالتسمية على الأكل والشرب والذبائح، ألا ترى أنّ الذابح إذا قال: بالله، ولم يقل: باسم الله، لكان مخالفاً لما أمر به.[١]

فالمؤمن في كلّ حال يذكر الله سبحانه، بخلاف المنافق؛ قال سبحانه: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾.[٢]

٤. ما هو المراد من الاسمين: الرحمن الرحيم؟

قوله: ﴿الرحمن الرحيم﴾، كلاهما من صفات الله سبحانه، وأسمائه الحسنى، والكلام يأتي في معنى الرحمة، فالظاهر من الطبرسي أنها بمعنى النعمة، فقال عند تفسير البسملة وبيان لغتها: ﴿الرحمن الرحيم﴾، اسمان وضعا للمبالغة، واشتقا من الرحمة، وهي النعمة، إلا أنّ (فعلان) أشدّ مبالغة من (فعيل).[٣]

وعلى هذا فكلا اللفظين بمعنى المنعم مع تفاوت بينهما، كما سيوافيك.

وأمّا على القول بأنّ الرحمة بمعنى رقّة القلب وتأثره بما يطرأ عليه من الحوادث المؤلمة، كما لو سمع ببكاء يتيم جائع، فيرقّ له قلبه ويقوم

---

١. مجمع البيان، للشيخ الطبرسي ١ : ٢١.

٢. الحشر:١٩.

٣. مجمع البيان ١ : ٢٠، ط صيدا.

بإطعامه، والإنعام عليه، فلو كان هذا اللفظ بمعنى رقّة القلب فلا يمكن وصف الله سبحانه به؛ لأنّ رقّة القلب وتأثره بالحوادث محال على الله سبحانه، لتنزّهه عن الأنفعال.

ونظير ذلك وصفه سبحانه بالغضب، فإنّ الغضب عبارة عن فوران الدم في القلب يوجب تشنّجاً في أعضاء الإنسان، تهيّؤاً للانتقام، والله سبحانه فوق ذلك؛ لأنّ الانفعال من صفات المادّة، والله فوقها.

ومع ذلك فقد ورد في الذكر الحكيم قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.[1]

والجواب عن الموردين ـ الرحمة بمعنى رقّة القلب، والغضب بمعنى فوران الدم ـ ونظائرهما واحد، وهو مايقال: خذ الغايات واترك المبادئ.

توضيحه: أنّ رقّة القلب تكون مبدءاً للتفضّل والإحسان، كما أنّ الغضب يكون سبباً لإيقاع العقوبة والتعذيب، فوصفه سبحانه بهما لأجل الغايات، وهو أنّه متفضّل بالإحسان بالنسبة إلى عباده، أو آخذ بالعقوبة لمن خالفه وجادله.

فكلّ وصف يكون فيه مبدءٌ مادي وانفعالي، ومع الوصف يكون له غاية تناسب الله تبارك وتعالى، فوصفه به إنما هو لأجل النتيجة، لا لأجل المبدء.

---

١. الممتحنة : ١٣.

ومنه يعلم الجواب عن كثير من الأوصاف التي هي من شؤون الإنسان، كالمكر والمخادعة والاستهزاء، ولايمكن وصفه بها سبحانه، ومع ذلك فقد أطلقت عليه سبحانه في غير واحدة من الآيات، منها:

قوله سبحانه: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.[1]

وهكذا قوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾.[2]

وقوله سبحانه حاكياً عن المنافقين: ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.[3]

ومن المعلوم أنّ المكر والخديعة حرفة العاجز، والاستهزاء عمل النوكى، غير أنّ وجه وصفه سبحانه بهذه الأفعال إنما هو لأحد أمرين:

١ـ إمّا رعاية للمشاكلة في الكلام، حيث إنّ القائل وصف عمله مكراً واستهزاءاً، والله يعبّر عن ردّ مكرهم وابطال استهزائهم بنفس عبارة القائل، وهذا من المحسّنات الكلامية؛ قال الشاعر:

---

١. آل عمران : ٥٤.

٢. النساء : ١٤٢.

٣. البقرة : ١٤ ـ ١٥.

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخَه	قلت اطبخوا لي جبّةوقميصها.[١]

حيث عبّر عن خياطة الجبّة بالطبخ، رعاية للمشاكلة في الكلام.

٢ـ ما تقدم منا حول وصف فعله سبحانه بالمكر والغضب، هو حذف المبادئ والأخذ بالغايات، فإذا مكر المنافقون فالله يجعل فعلهم عقيماً من حيث لايشعرون، ولذا وصف فعله بالمكر أخذاً بالغايات دون المبادئ، وهكذا الاستهزاء فإنّ المستهزئ يريد الحطّ من النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين في أعين الناس، والله سبحانه يجعل فعله بلا أثر على نحو يكون المستهزئ ذليلاً في أعين الناس.

٥. ما هو الفرق بين الرحمن والرحيم؟

إذا كان الوصفان مشتقين من الرحمة، فما هو الفرق بينهما، خصوصاً على القول بأنّ كليهما على وزان صيغة المبالغة، نظير فعلان وفعيل؟

أجيب عن ذلك بوجوه، نذكر منها وجهين:

---

١. هذا البيت لأبي حامد أحمد بن محمد الأنطاكي، المعروف بأبي الرقعمق، نادرة الزمان وجملة الإحسان، وممن تصرف بالشعر الجزل في أنواع الجدّ والهزل، وأحرز قصب الفضل، وهو أحد المداحين المجيدين والفضلاء المحسنين، وهو بالشام كابن الحجّاج في العراق، وكان شاعراً فكهاً، وأقام بمصر طويلاً، يمدح ملوكها ووزراءها، وتوفي فيها سنة ٣٩٩هـ. لاحظ: يتيمة الدهر، للثعالبي١: ٣٧٩؛ سير أعلام النبلاء ١٧ : ٧٧، برقم ٤٢؛ الأعلام١ : ٢١٠؛ وفيات الأعيان١ :١٣١برقم٥٤؛ أعيان الشيعة ٣ : ٧٦برقم ٢٨٢؛ الغدير ٤ : ١١٣.

١ـ أنّ الرحمن من صفاته المختصة به سبحانه، ولايستعمل في حق الغير، فلايصح أن يقال: زيد رحمان، بل الصحيح عبد الرحمن، بخلاف الرحيم فيمكن أن يوصف به غيره سبحانه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.[1]

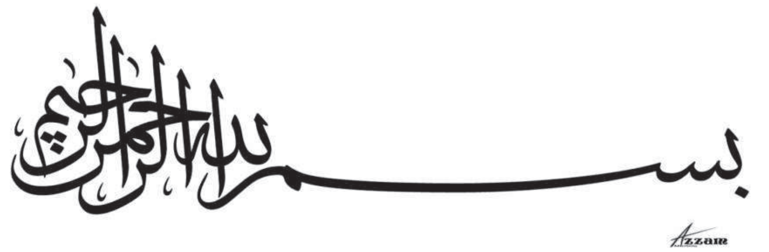

٢ـ أنّ الرحمن أوسع من الرحيم، وذلك أنّ (فعلان) أشدّ مبالغة من (فعيل)، ولعل وجه الأشدّية هو أنّ كثرة المباني تكون غالباً دليلاً على كثرة المعاني، فالرحمن يعمّ جميع الخلق، والرحيم بالمؤمنين خاصة.

ووجه عموم الرحمن بجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، برّهم وفاجرهم، هو إنشاؤه إياهم، وجعلهم أحياء قادرين، ورزقه إياهم.

---

١. التوبة : ١٢٨.

ووجه خصوص الرحيم بالمؤمنين، هو ما فعله بهم في الدنيا من التوفيق، وما يفعله بهم في الآخرة من الجنّة والإكرام وغفران الذنوب؛ وإليه يشير ما روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «الرحمن اسم خاص بصفة عامة، والرحيم اسم عام بصفة خاصة».[١]

فقوله عليه السلام: «الرحمن اسم خاص»؛ لأنه لا يطلق إلا على الله سبحانه، وقوله: «بصفة عامّة»: أي تعمّ رحمته الكافر والمؤمن.

وقوله عليه السلام: «الرحيم اسم عام»؛ لأنه يطلق على غيره سبحانه، وقوله عليه السلام: «بصفة خاصة»، لأنه يختص بالمؤمن فقط.

٦. لما ذا تقدّم الرحمن على الرحيم؟

لما ذا تقدم وصف الرحمن على الرحيم، مع أنّ الضابطة في الكلام البليغ هي التدرّج من الضعيف إلى القوي، ومن القليل إلى الكثير، فيقال: فلان عالم بالفقه بل مجتهد، أو يقال: إنّ هذا المسجد يكفي لألف مصلٍّ بل لألفين، وعلى هذا فالمناسب أن يقول: الرحيم الرحمن؟

وأمّا الجواب عن ذلك فهو أنه يمكن أن يقال: بما أنّ الرحمن يختص بالله سبحانه وشاع استعماله في ذاته القدسية، فقد خرج عن معنى الوصفية وأصبح اسماً له سبحانه، فلفظ الجلالة اسم والرحمن اسم آخر،

---

١. مجمع البيان ١ : ٢١.

وبما أنه اسم فلا يُشعر بشيء من المعاني، على خلاف لفظ (الرحيم)، فإنه باقٍ على وصفيته.

ومهما يكن، فإنّ مفاد البسملة، هو: أنّ الإنسان الضعيف غير القادر على شيء إلاّ بعون الله عزّوجلّ، يجب أن يستعين على جميع أموره بالله سبحانه، وأن يبتدئ جميع أموره باسم الله، ولا يغفل عن الله سبحانه حتى لا يكون ممّن: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾.[1]

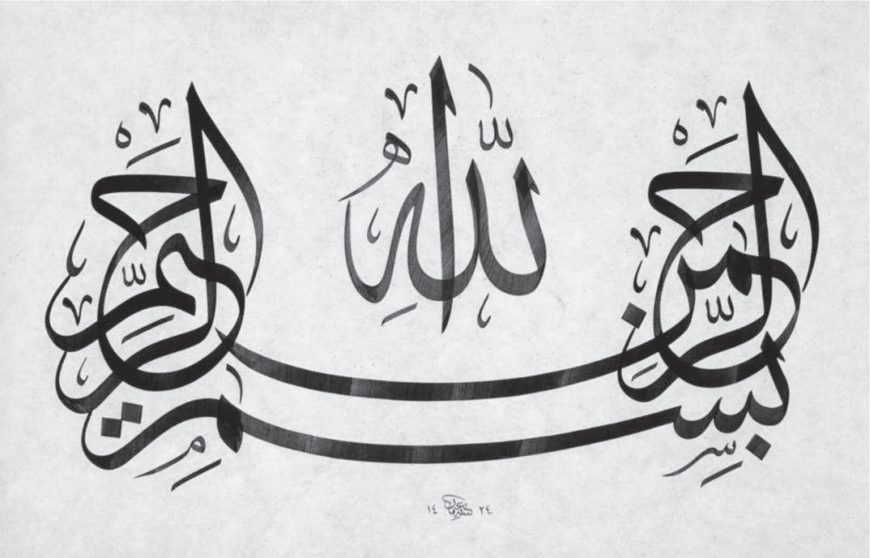

* * *

١. الحشر: ١٩.